

الاحياء الاسلامي: دراسة في حالة المسلمين السوفيت

د. محمد السيد سليم*

من الثابت أن العالم الاسلامي يحتاجه حاليا موجة من الاحياء الاسلامي تتمثل في إعادة الوعي بالقيم الاسلامية ، ليس فقط على المستوى الديني ولكن على المستويين الثقافي والسياسي ايضا ، كما تتمثل في السعي نحو خلق هوية اسلامية جديدة في العالم المعاصر^(١) .

وهذه الظاهرة ، كما يعرفها الاستاذ حرير ديكيميجان - تتميز بانها ظاهرة شاملة بمعنى انها تحدث في المجتمعات الاسلامية بغض النظر عن الموقع أو الحجم أو الهوية الثقافية . كما أنها ليست قاصرة على الدول العربية ، ولكنها تمتد لتشمل دول كنيجيريا واندونيسيا وتركيا وباكستان ، ولا تقتصر على البلاد التي يشكل المسلمون فيها اقلية ، ولكنها تشمل البلاد التي يشكل المسلمون فيها اقلية كالفلبين والهند والاتحاد السوفيتي^(٢) .

بيد أن الدراسات العلمية عن الاحياء الاسلامي تركز على دوافع الاحياء في البلاد التي تحكمها اقلية اسلامية . فهذه الدراسات تفسر عملية الاحياء الاسلامي في ضوء اربعة عوامل اساسية : أولها : ازمة الشرعية التي تتمثل في عجز النخب المثقفة والحاكمة في ايجاد ايدولوجيات علمانية تكون مصدرا للشرعية والتلاحم الاجتماعي ، وقادرة في

(*) المدرس بقسم العلوم السياسية في جامعة القاهرة .

نفس الوقت على أن تكون بديلا للشرعية الاسلامية التقليدية ، وقد تمثل ذلك في عجز النماذج الناصرية والأتاتورية والبورقبيية . وثانيها هو القهر الاجتماعي وفشل النظم العلمانية في حل مشكلة العدالة الاجتماعية كما حدث في ايران .

اما السبب الثالث فهو أثر الهزائم العسكرية التي لحقت بدول اسلامية كمصر وباكستان والاردن وسوريا ، فما يهز ثقة مسلمي تلك الدول في شرعية النظم الحاكمة . واخيرا ، فهناك ازمة قوى المعارضة غير الدينية واحقاقها في تقديم بديل للنظم القائمة او اكتساب قواعد جماهيرية واسعة مما يفسح الطريق امام نهوض الحركات الاسلامية .

هذه الاسباب كلها تفترض أن المسلمين اغلبيية حاكمه في تلك الدول ، فإذا كان ذلك كذلك ، فكيف نفسر اذن ظاهرة الاحياء الاسلامي في الدول التي يشكل المسلمون فيها اقلية غير حاكمه ، والتي لا تعاني من تلك الاسباب والدوافع ؟

الهدف من هذه الدراسة هو تحليل خصوصيات ظاهرة الاحياء الاسلامي في واحدة من الدول التي يشكل المسلمون فيها اقلية ، وهي الاتحاد السوفييتي ، وذلك كخطوة في الطريق إلى التوصل إلى تفسير عام لظاهرة الاحياء الاسلامي .

ظاهرة الاحياء الاسلامي في الاتحاد السوفييتي :

منذ أوائل السبعينات ، بدأت تجتاح اسيا الوسطى والقوقاز ، حركة مطردة من نمو الشعور بالهوية الاسلامية لدى المسلمين السوفيت قوامها التمسك بالقيم الثقافية الاسلامية ، وتطوير نمط من التطور الاقتصادي والاجتماعي ، يختلف عن نمط التطور في المناطق الاوروبية للاتحاد السوفييتي . ففي سنة ١٩٦١ كتب بيسونيت ، الخبير في الشؤون السوفيتية ، عن المسلمين السوفيت :

« لقد انتهت ايام المجد بالنسبة للاسلام في اسيا الوسطى . فليس هناك اضطرار للمسلمين ، ولكن ذلك ليس ضروريا . فبعكس المسيحية ، لا يستطيع الاسلام أن يعيش بدون ان تصحبه بعض الممارسات السياسية . . . لقد نجح الشيوعيون في فرض نفس الوجود القانوني على المسلمين والارثوذكس . واستطيع أن أقول ، بناء على ملاحظاتي المحدودة ، ان الارثوذكسية ستحيا في الاتحاد السوفييتي ، الا انني لا استطيع ان اقول نفس الشيء عن الاسلام » (٣) .

بيد أن المؤشرات العملية ، توضح أن ملاحظة بيسونيت كانت فعلا محدودة . فهناك اليوم شبه اجماع بين دارسي الاتحاد السوفييتي على أن هناك وعيا متزايدا بالاسلام بين مسلمي اسيا الوسطى والقوقاز . فبعد عشر سنوات من ملاحظة بيسونيت ، صرح

احد العلماء السوفييت : « ليس هناك مكان في الاتحاد السوفييتي يتعاطف فيه النفوذ الديني كما هو الحال في آسيا الوسطى . . . فالنفوذ الاسلامي في تلك المنطقة ، قوي للغاية»^(٤) .

وكتبت الاستاذة راكوفسكا هارمستون ، المتخصصة في شؤون اسيا الوسطى ، موضحة أن هناك موجة واضحة من الاحياء الثقافي الاسلامي في آسيا الوسطى والقوقاز^(٥) .

وفي ابريل سنة ١٩٧٩ ، كتبت الباحثة الكندية لانايل مقالة بعنوان « رياح الاسلام تهب نحو آسيا الوسطى » عقب زيارتها للاتحاد السوفييتي قالت فيها « أن المسلمين أصبحوا يشكلون وحدة متميزة بشكل متزايد»^(٦) .

يمثل المسلمون ثاني اكبر قوة دينية في الاتحاد السوفييتي ، بعد اتباع الكنيسة الارثوذكسية الروسية^(٧) فقد أورد تعداد سنة ١٩٧٠ ، كما يشير الجدول رقم ١ ، أن هناك حوالي ٣٥ مليون مسلم يشكلون ١٤,٣٪ من سكان الاتحاد السوفييتي ، زادوا سنة ١٩٧٧ ، حسب تقديرات الباحث ويكس ، إلى ٤٠,٦ مليون يشكلون ١٥,٧٪ من السكان السوفييت . وينتمي المسلمون السوفييت إلى ثلاث مجموعات عرقية اسلامية هي :

مجموعة الشعوب التركستانية ، وتمثل ٨٥,١٪ منهم ، والشعوب الايرو قوقازية ، وتمثل ٦,٩٪ منهم ، والشعوب الايرانية ، وتمثل ٨٪ منهم^(٨) ويتركز معظم المسلمين السوفييت في الجمهوريات الاتحادية الست الواقعة على الحدود الجنوبية للاتحاد السوفييتي ، والتي تمتد من جمهورية اذربيجان في القوقاز ، إلى الجمهوريات الخمس الواقعة في آسيا الوسطى ، وهي : اوزبكستان ، كازاخستان ، تركمانيا ، قيرجيزيا ، وطاجيكستان . إلى الشمال الغربي من تلك الجمهوريات يتركز التاتار والباشكير في جمهوريتين مستقلتين في الفولجا والاورال . وتشابه الشعوب الاسلامية السوفييتية في كثير من الخصائص الثقافية . فالشعوب التركستانية مثلا ، تتكلم ثلاث عشرة لغة متقاربة إلى حد كبير . كما أن معظم المسلمين ينتمون إلى المذهب السني الحنفي ، بينما تنتمي الشعوب الايرانية إلى المذهب الشيعي ، بجانب وجود اقلية من الاسماعيلية والبهاية والاثنى عشرية .

كما أن معظم المسلمين ينتمون إلى المذهب السني - الحنفي ، بينما تنتمي الشعوب الايرانية إلى المذهب الشيعي ، بجانب وجود اقلية من الاسماعيلية والبهاية والاثنى عشرية .

جدول رقم (١)

توزيع الشعوب الاسلامية في الاتحاد السوفيتي^(٩).

الشعوب	تعداد سنة ١٩٣٩ بالالاف	تعداد سنة ١٩٥٩ بالالاف	تعداد سنة ١٩٧٠ بالالاف	تقدير ٧٧ بالالاف	مقر الإقامة • الرئيسي
١ - الشعوب					
التركتانية	١٧,٦٠١	٢١,٠٥١	٢٩,٨٢٠	٣٤,٦٥٤	
الاوزبك	٤,٨٤٤	٦,٠٠٤	٩,٩٩٥	١٠,٧٤٦	جمهورية اوزبكستان
التاتار	٤,٣٠٠	٤,٩٦٩	٥,٩٣١	٦,٥٥٠	مقاطعة التاتار
الكازاك	٣,٠٩٩	٣,٥٨١	٥,٢٩٩	٦,١٩٥	جمهورية كازاخستان
الاذريبيجانيون	٢,٢٧٥	٢,٩٢٩	٤,٣٨٠	٥,١١٠	جمهورية اذربيجان
التركمان	٨١٢	١,٠٠٤	١,٥٢٥	١,٧٨٢	جمهورية تركمانيا
الباشكير	٨٤٣	٩٨٣	١,٢٤٠	١,٤٥١	مقاطعة الباشكير
القرجيز	٨٨٤	٩٧٤	١,٤٥٢	١,٦٩٩	جمهورية فرجيزيا
الكاراكالباك	١٨٦	١٧٣	٢٣٦	٢٧٧	مقاطعة كاراكالباك
الكوميك	٠٩٥	١٣٥	١٣٧	٢٢٠	داغستان
اليوجور	١٠٩	٩٥	١٧٣	٢٠٢	كاراخستان وقرجيزيا
الكاراتشاي	٧٦	٨١	١١٣	٢٠٢	مقاطعة كارتشاي
البارلقار	٤٢	٤٧	٦٠	٧٠	مقاطعة كاباردارلقار
النوجاي	٣٦	٤١	-	٧٠	مقاطعة كاراتشاي
الترك	؟	٣٥	٧٩	٧٠	
٢ - الشعوب					
الايرانية	١,٦٩٧	١,٩٠٧	٢,٧٥٨	٣,٢٤٨	
الطاجيك	١,٢٢٩	١,٣٩٧	٢,١٣٦	٢,٤٩٧	جمهورية طاجيكستان
الاوستين	٣٥٤	٤١٠	٤٨٨	٥٦٥	مقاطعة شمال اوستين
الاكراد	٤٦	٥٩	٨٩	١٠٤	جمهورية ارمينيا
الايرانيون	٢١	٢٨	٤٧		اسيا الوسطى السوفيتية
التات	٢٩	١١		١٨	ازربيجان

تابع جدول رقم ١

الشعوب	تعداد سنة ١٩٣٩ بالالاف	تعداد سنة ١٩٥٩ بالالاف	تعداد سنة ١٩٧٠ بالالاف	تقدير ٧٧ بالالاف	مقر الاقامة الرئيسي
البالوشي	-	٩	١٧	١٧	تركمانيا
٣ - الشعوب					
الايروققازية	٨٣١	٢,٥٦٧		٢,٨٣٤	مقاطعة شيشين رانجوش
الشيشين	٤٠٨	٤١٨	٢,١٦١	٧١٧	مقاطعة كاربا رداريلقار
الكاربا رديان	١٦٤	٢٠٤	٦١٣	٢٨٢	مقاطعة شيشين رانجوش
الانجوش	٩٢	١٠٦	١٥٨	١٨٤	مقاطعة كاراتش - شركس
الشركس	٧٩	٣٠	-	٤٧	داغستان
الداغستانيون	٨٨	١,٨٠٩	١,٣٦٥	١,٦٠٤	
واخرون					
المجموع الكلي	٢٠,١٢٩	٢٥,٥٢٥	٣٤,٧٣٩	٤٠,٧٢٦	

جذور عملية الاحياء الاسلامي :

الواقع أن عملية الاحياء الاسلامي التي يشهدها مسلمو الاتحاد السوفييتي اليوم ، تمثل الموجة الثانية من الاحياء خلال القرن العشرين فقد سبقتها موجة اولى في اوائل القرن العشرين جاءت متواكبة مع حركة الاحياء التي شهدها الشرق العربي على ايدي المصلحين من امثال محمد عبده . وسميت تلك الموجة الاولى باسم « حركة اصول الجديد » أو « الحركة التجديدية » وطالبت بتجديد القيم الاسلامية واحياء الثقافة الاسلامية ، وتحقيق قدر من الاستقلال الثقافي والسياسي للشعوب الاسلامية^(١٠) .

بالاضافة إلى حركة الجديد ، توزع المسلمون الروس بين شتى التيارات السياسية في الامبراطورية الروسية ، باستثناء البولشفيك الذين كان نفوذهم محدودا بين المسلمين الروس^(١١) . وقد أدى ذلك إلى عدم تقبل المسلمين للنظام الجديد الذي أتت به ثورة سنة ١٩١٧ بسهولة ، برغم روح التسامح المبدئي التي ابداهها النظام البلشفي نحو المسلمين بدرجة تفوق تسامحه مع الكنيسة الارثوذكسية^(١٢) . والواقع أن المسلك البلشفي

المبدئي ازاء المسلمين ، كان اعترافا ضمينا بقوة الاسلام بين سكان آسيا الوسطى والقوقاز ، فقد اعترف سلطان جاليف ، الذي قاد التيار البلشفي داخل المجتمع الاسلامي ، بقوة تأثير الاسلام لانه يقدم للمسلمين قواعد للسلوك السياسي والمدني ، بالاضافة إلى العقيدة^(١٣) .

ابتداء من سنة ١٩٢٠ بدا التحول في السياسة السوفييتية بالغاء الكثير من المؤسسات الدينية والسياسية الاسلامية ، وظهر كثير من الكتابات المعادية للاسلام . وكان رد فعل المجتمع الاسلامي ، هو تعميق عملية حركة الاحياء الاسلامي ، تحت لواء « الحركة التجديدية » التي نجحت فعلا في احياء كثير من مظاهر الثقافة الاسلامية خلال الفترة الاولى من الحكم البلشفي . ولكن الحركة صفيت نهائيا في اواخر العشرينات ، باعتبارها « مضادة للثورة » شأنها شأن الحركة التي قادها سلطان جاليف لخلق نظام شيوعي يناسب المجتمعات الاسلامية السوفييتية^(١٤) .

توجهت السياسة السوفييتية عقب تولي ستالين السلطة ١٩٢٩ وحتى نشوب الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ، عبر محاور اربعة ، هدفت جميعها إلى احتواء الهوية الثقافية الاسلامية ، وغرس بذور هوية ثقافية سوفييتية بدلا منها . المحور الاول ، كان تقسيم المجتمع الاسلامي إلى وحدات سياسية - ادارية منفصلة ، كتقسيم مسلمي الفولجا الاوسط إلى امتين منفصلتين وتقسيم المجتمع التركستاني إلى خمس جمهوريات منفصلة . المحور الثاني ، كان محور اللغة الذي تمثل في الغاء الابجدية العربية ، وادخال الابجدية اللاتينية بدلا منها ، مما أدى إلى عزل الاجيال التالية عن التراث العربي ، وإلى غموض ظاهرة التجزؤ الثقافي بين المسلمين السوفييت . اما المحور الثالث ، فكان تشجيع عملية استيطان السكان الروس في اسيا الوسطى والقوقاز ، وهي السياسة التي عرفت باسم « تقريب القوميات » إلى احد أن اصبح مسلمو الكازاخستان اقلية في داخل جمهوريتهم . والمحور الاخير ، كان ازالة المؤسسات الاسلامية التقليدية ، كالاوقاف والمدارس التعليمية ، سواء على المستوى الاكاديمي ، أو على مستوى العبادات^(١٥) .

على أن تلك السياسة لم تستمر طويلا (رغم انها نجحت في اضعاف مركز الاسلام التقليدي في آسيا الوسطى والقوقاز) اذ سرعان ما نشبت الحرب العالمية الثانية ، وفرضت على السلطات السوفييتية ضرورة التهادن مع المسلمين السوفييت ، خصوصا ان القوات الالمانية ، كانت قد دخلت فعلا بعض المناطق الاسلامية كالتاتار والباشكير . وبناء عليه ، تم تخفيف القيود المفروضة على الممارسة النظامية للاسلام ، فانعقد مؤتمر لمسلمي اسيا الوسطى في اكتوبر ١٩٤٣ ، واخر لمسلمي القوقاز في مايو ١٩٤٤ ، ونشر المفتي

رسولوف كتابا بعنوان « الاسلام ديني » يتضمن قواعد الصلاة^(١٦) .

وقد سمح التهادن الذي فرضته الحرب العالمية الثانية ، بإعادة نمو الممارسات الاسلامية وبيقظة المجتمع الاسلامي السوفييتي . فمنذ ذلك الحين ، لم تحظر تلك السلطات ممارسة الشعائر التي بدأت في النمو في شكل افتتاح مدرستين للتعليم الاسلامي ١٩٥٠ واصدار طبعة جديدة من القرآن ١٩٤٨ وايفاد بعثات إلى الازهر . ولكن اقتصرت السلطات السوفييتية على تشديد حملتها الايديولوجية ضد الممارسة التقليدية للاسلام مما انتهى إلى شكل من التعايش التنافسي بين النظام السوفييتي ، وايديولوجيته الاحادية ، وبين المؤسسات الاسلامية ، ما دام انها لا تمس كفاءة النظام وقدرته على اداء وظائفه ، مثل هذا التعايش ، بالاضافة إلى عوامل اخرى سندكرها حالا ، هو الذي سمح بظهور حركة الاحياء الاسلامي .

مظاهر البيقظة الاسلامية في الاتحاد السوفييتي :

تتميز حركة الاحياء الاسلامي في الاتحاد السوفييتي ، بأنها في جوهرها لا تدور حول قضية التمسك بالشعائر والعودة إلى التقليد ، وإن كان ذلك يمثل جزءاً يسيراً منها . فالمسلمون السوفييت ، لم يتأثروا كثيراً بتوجهات حركة الاحياء الاسلامي الايراني . ويبدو أن كثيرين منهم ، وبالذات التركمان والاذربيجانيون لم يسمعو عنها بعد^(١٧) ولكن جوهر الحركة يتمثل في تكوين شخصية اسلامية ، قوامها القيم الثقافية التي ارساها الاسلام ، وتطوير طابع اسلامي خاص للجمهوريات السوفييتية ، التي يعيش فيها المسلمون . ففي دراسة حديثة اجريت في جمهورية تركمانيا تبين أن ١٢٪ فقط من سكان المدن المسلمين ، عرفوا أنفسهم بأنهم مؤمنون بالاسلام (بمعنى ممارسة الشعائر) ، الا أن غير المؤمنين ، عرفوا أنفسهم ايضا بأنهم مسلمون ، بمعنى أن هويتهم الثقافية اسلامية ، رغم عدم ممارستهم الشعائر^(١٨) .

أولا : المظاهر التقليدية للاحياء الاسلامي :

في دراسة ميدانية اجراها ريتشارد بايس في منتصف الخمسينات ، اتضح أن هناك تدهورا شديدا في الالتزام بالاحكام الشرعية بين المسلمين السوفييت^(١٩) . ويقرر الكاتب اللبناني جميل بهيم ، بعد زيارته للاتحاد السوفييتي سنة ١٩٥٧ ، أن كثيرا من مساجد اذربيجان مغلقة لعدم وجود مصلين^(٢٠) . كما يقرر هويلر أن عدد المساجد في الاتحاد السوفييتي ، قد تدهور إلى حوالي اربعمئة مسجد ، مقارنة بحوالي ثمانية آلاف مسجد قبل الحرب العالمية الثانية^(٢١) . فإذا قارنا هذا الاتجاه بما طرا على اسيا الوسطى والقوقاز

خلال السبعينات نجد أنه في دراسة نشرها الباحث السوفييتي فاجابوف ، أن نسبة المؤمنين من سكان جمهوريات اسيا الوسطى ، تزيد عنها في اية جمهورية اخرى^(٢٢) . والامام الصدر يقرر سنة ١٩٧٢ عقب زيارة للاتحاد السوفييتي أن الاسلام في الاتحاد السوفييتي مازال حيا ، وان هناك اتجاها نحو تزايد عدد المصلين في المساجد ، على نحو ما رأى في طشقند^(٢٣) . يضاف إلى ذلك انتشار المساجد بشكل غير رسمي ، فنادرا ما يوجد كولوخوز أو سوفخوز بدون مسجد غير رسمي ، كما انتشرت ظاهرة الاستعاضة عن الحج إلى الاراضي المقدسة ، بالحج إلى اضرحة الاولياء المحليين^(٢٤) . كذلك يذكر احد الدارسين ، أن ظاهرة انشاء المدارس الدينية التي تتولى تدريس علوم القرآن بشكل غير رسمي ، قد انتشرت . ففي اذربيجان وحدها ، يقدر عدد المدارس غير الرسمية بحوالي الالف^(٢٥) .

من ناحية اخرى ، يذكر من زاروا اسيا الوسطى حديثا ، أن الطرق الصوفية التقليدية كالنقشبندية والشاذلية والقادرية ، قد دبت فيها الحياة من جديد ، وعادت حلقات الذكر كما أن كتاب سيد قطب « معالم على الطريق » يتداول في آسيا الوسطى والقوقاز^(٢٦) .

ثانيا : الاحياء الثقافي الاسلامي :

ذكرنا أن جوهر الاحياء الاسلامي في الاتحاد السوفييتي يتحصل في العودة إلى القيم التاريخية المرتبطة بالاسلام ، وتطوير شخصية اسلامية مستقلة لمنطقة اسيا الوسطى . فرغم أن الكثير من مسلمي اسيا الوسطى ، لا يقيمون الشعائر الدينية الا أنهم يعيشون طبقا « للاسلوب الاسلامي في الحياة » فتقاليد الحياة الاسلامية في ميادين الزواج والميلاد والطلاق والمشاكل وغيرها ، يجري التمسك بها بشكل متزايد . ومن امثلة ذلك ، التقاليد المرتبطة بالزواج . فرغم أن زواج المسلمين بغير المسلمات ، أمر شائع في آسيا الوسطى ، الا أن زواج المسلمات بغير المسلمين ، أمر نادر للغاية . ففي دراسة أجراها الباحث السوفييتي برينتايفا عن الزواج المختلط في اشخاباد ، عاصمة تركمانيا ، لم يجد حالة واحدة لسيدة تركمانية تزوجت من غير تركماني^(٢٧) . كذلك فإن تقاليد الجنائز والختان والطعام ، كلها تتم بالاسلوب الاسلامي ، حتى ولو كانت الاسرة لا تمارس الشعائر . ويروي احد المتخصصين في شؤون اسيا الوسطى ، أنه حينما توفي مدير معهد التربية في طشقند عام ١٩٧٠ ، اقترحت السلطات منحه شرف الدفن في مقابر الشيوعيين المخصصة للقادة العظام ، ولكن اسرته رفضت ، واصرت على دفنه في المقابر الاسلامية ، وفقا للتقاليد الاسلامية^(٢٨) . ومن الامور ذات الدلالة بين مسلمي آسيا الوسطى ، أن

معدل تربية الخنازير ، هو أقل معدل في الاتحاد السوفييتي فطبقا لاحصائية حديثة ، فإن معدل تربية الخنازير في جمهورية روسيا الاتحادية ، هو ٣٧ خنزيرا لكل مائة من السكان ، بينما تصل النسبة في تركمانيا إلى ٢٪ ، وفي طاجيكستان واوزبكستان ٣٪ ، وفي اذربيجان ٥٪ ، بينما تصل في كازاخستان إلى ١٢٪ (٢٩) . وتقاليد الزواج ، رغم أنها مقننة مدنيا ، الا أنها تتم ايضا بالطريق الديني ، فنظام المهور ما زال قائما ، والمسلم يتزوج مدنيا امام الدولة ، ثم يعاود بالزواج دينيا في منزله (٣٠) . اصف إلى ذلك ، ان المناسبات المدنية الاخرى ، تحول إلى مناسبات دينية ، كوصول المولود والختان وبلوغ الرجل سن الثالثة والستين (وهي السن التي توفي فيها النبي محمد) (٣١) .

ومن مظاهر الاحياء الثقافي الاسلامي الاخرى ، الاتجاه نحو ترجمة الكتب الاسلامية التقليدية ، إلى اللغات المحلية ، وصدر مجلة دورية باسم « المسلمين في الاتحاد السوفييتي » والاحتفال بالعيد الـ ٢٥٠٠ لسمرقند ، والاتجاه نحو تنقية اللغات المحلية من المصطلحات الروسية . ففي ١٩٦٩ ، عقد مؤتمر في اوزبكستان ، ناقش قضية استعادة المصطلحات الاوزبكية في اللغات المحلية . وهناك توجه هام ، مؤداه تمجيد فترة التاريخ الاسلامي قبل الغزو الروسي القيصري ، ورفض الفكرة التي نادى بها المؤرخون الروس ، ومؤداها أن القدم الروسي لآسيا الوسطى ، كان ظاهرة تقدمية (٣٢) .

وبناء على هذا ، فإن ريتشارد بايس ، يخلص في دراسة اخرى له في منتصف السبعينات ، إلى تعاظم ظاهرة التمسك بالهوية الثقافية الاسلامية ، مصحوبة بقدر معين من الهوية السياسية الاسلامية (٣٣) .

ثالثا : التأكيد المتزايد للشخصية الاسلامية :

إن البعد الثالث لظاهرة بعث الهوية الاسلامية السوفيتية ، هو تصاعد عملية تأكيد الشخصية الاسلامية ، عن طريق مقاومة محاولات اصفاء الطابع الثقافي والديموجرافي الروسي على بعض المناطق الاسلامية ، وهي السياسة التي يعرفها الدارسون الغربيون باسم سياسة « الترويس » Russification وقد اجمع الباحثون ، على أن المسلمين السوفييت ، هم اقل القوميات السوفيتية تقبلا للثقافة والاستيطان الروسي ، وأن ذلك لا يرجع فقط إلى أن المسلمين السوفييت ، قد خضعوا للحكم الروسي في فترة لاحقة للقوميات غير الروسية الاخرى ، ولكن إلى طبيعة الاسلام ذاته ، بدليل أن التاتار والباشكير ، قد خضعوا للحكم الروسي منذ قرون اربعة ، بينما تقل نسبة الترويس بينهم بشكل واضح عن القوميات المجاورة . وتتخذ ظاهرة التأكيد المتزايد للشخصية الاسلامية بعدين اساسيين :

١ - تناقص معدلات المستوطنين الروس في المناطق الاسلامية : اتبع النظام الروسي ، وبعده النظام السوفييتي سياسة مخططة قوامها نقل اعداد متزايدة من الشعوب السلافية ، للاستقرار في آسيا الوسطى والقوقاز . ونتيجة لذلك ، فقد تدهور معدل المسلمين في المناطق الاسلامية . ففي خلال الفترة من ١٩٣٩ حتى ١٩٥٩ مثلا ، زادت نسبة الروس المستوطنين في اوزبكستان من ١١٪ إلى ١٣,٥٪ من سكان الجمهورية ، ومن ٢٠٪ إلى ٣٠,٢٪ في فرجيزيا ، بل أنه في كازاخستان ، أصبح الكازاك اقلية ، والروس اغلبية . الا أنه لوحظ في احضاء ١٩٧٠ ، أن تيار الترويس الديموجرافي ، بدأ في التغير لصالح الشعوب الاسلامية . فكما يظهر من الجدول رقم ٢ فإنه في كل جمهوريات آسيا الوسطى ، زادت نسبة السكان المحليين وهبطت نسبة كل المستوطنين . بيد أن هبوط نسبة المستوطنين الروس ، كان بمعدل يفوق المستوطنين الآخرين ، ففي كازاخستان مثلا التي تحولت إلى اغلبية روسية ، هبطت نسبة المستوطنين الروس بمعدل ٣٪ ، بينما هبط معدل المستوطنين الاوربك بمعدل ١٪ فقط .

٢ - الاتجاه نحو التمسك باللغات القومية المحلية بدلا من اللغة الروسية : لوحظ في خلال السبعينات ، تناقص نسبة المسلمين الذين يعتبرون اللغة الروسية أو أية لغة اجنبية اخرى ، لغتهم القومية . وبالنسبة للاوزبك ، تناقصت النسبة من ١,٩٪ إلى ١,٤٪ ، الاذربيجانيين من ٢,٤٪ إلى ١,٨٪ ، والطاجيك من ١,٨٪ إلى ١,٥٪ ، والباكشير من ٣٨,١٪ إلى ٣٣,٨٪ وذلك باستثناء التاتار الذين زادت نسبتهم من ٧,٩٪ إلى ١٠,٨٪ ، والكازاك الذين زادت نسبتهم من ١,٨٪ إلى ٢٪ بحكم أن الباشكير ، هم اكثر القوميات الاسلامية تعرضا للروس من الناحية التاريخية ، وأن الكازاك يشكلون اقلية في جمهوريتهم بالنسبة للروس^(٣٥) .

دوافع حركة الاحياء الاسلامي في الاتحاد السوفييتي :

يمكن القول أن حركة الاحياء الاسلامي في الاتحاد السوفييتي ، ترجع في جذورها إلى عدة عوامل اساسية :

أولا : طبيعة الاسلام ذاته :

فالاسلام بطبيعته ، ليس مجرد عقيدة دينية ، ولكنه ايضا نظام من المعاملات المدنية ، وغمط من الحياة ، كما أنه يغرس بين المؤمنين فيه قيما ثقافية ، من شأنها أن تستمر حتى ولو لم يمارس المسلم شعائره الدينية ولهذا مثلا ، نجد انه رغم أن نسبة تعرض المسلمين في آسيا الوسطى تكاد تتساوي مع نسبة تعرض الاوكرانيين ، فإن المسلمين أقل تقبلا للثقافة الروسية من غيرهم .

جدول رقم (٢)

التوزيع العرقي لجمهوريات آسيا الوسطى (١٩٥٩ - ١٩٧٠) (٣٤)

	الاوزبك	الكازاك	الفرجيز	الطاجيك	الترکمان	التاتار	الروس	الاکرانيون	آخرون
اوزبكستان	٦٤,٧ (٦٠)	٤,٦ (٤,٢)	٠,٩ (١,١)	٣,٨ (٣٠,٨)	٠,٧ (٠,٦)	٤,٨ (٥,٥)	١٢,٥ (١٣,٦)	١ (١,١)	٧,٠
کازاخستان	١,٦ (١,٥)	٣٢,٤ (٢٩,٦)				٢,٢ (٢,١)	٤٢,٨ (٤٣,١)	٧,٢ (٨,٢)	١٣,٨
فرجيزيا	١١,٣ (١٠,٦)	٠,٨ (١,٠)	٤٣,٨ (٤٠,٥)	٠,٧ (٠,٧)		(٢,٤) (٢,٧)	٢٩,٢ (٣٠,٢)	٤,١ (٦,٦)	١٣,٧
طاجيكستان	٢٣,٠ (٢٣)	٠,٣ (٠,٦)	١,٢ (١,٣)	٥٦,٢ (٥٣,١)		٢,٤ (٢٢,٩)	١١,٩ (١٣,٣)	١,١ (١,٤)	٣,٩
ترکمانيا	٨,٣ (٨,٣)	٣,٢ (٤,٦)			٦٥,٦ (٦٠,٩)	١,٧ (٢,٠)	١٤,٥ (١٧,٣)	١,٦ (١,٤)	١٥,١

* النسب بين قوسين هي نسب ١٩٥٩ .

ثانيا : طبيعة النظام السوفييتي وسياساته :

فالنظام السوفييتي ذاته ، قد خلق العوامل التي من شأنها ان تدعم الوعي الاسلامي اذ أنه بتخطيطه التقاليد الموروثة ، قد حطم في نفس الوقت ، الولاءات القبلية ، وساعد على التقريب بين المجموعات الاسلامية التي كانت تفصلها الحواجز القبلية . كما انه بسياسته في التنمية الاقتصادية ، ساعد على دخول معظم الشعوب الاسلامية ، بداية مرحلة التعبئة الاجتماعية ، بكل ما تحمله من تحول في القيم والافكار . اصف إلى ذلك ، أن السلطات السوفييتية ذاتها ، تتسامح مع ظاهرة غزو اليقظة الاسلامية ، فهي تعرف عن المساجد والائمة غير الرسميين ، ولكنها تغض النظر عن ذلك .

ثالثا : التوزيع الجغرافي والاطار السياسي للمسلمين السوفييت :

فالمسلمون السوفييت ، - كما ذكرنا - ، يشكلون وحدة جغرافية ، متماسكة ومترکزة في آسيا الوسطى والقوقاز ، مما اعطاهم الاحساس بالتقارب والتماثل ، وأدى إلى سرعة

تأثرهم بالحركات الثقافية التي تجري في أي من اجزاء اسيا الوسطى . كذلك فإن وجود الجمهوريات الاتحادية ، قد ساعد على الاسراع في عملية نحو الوعي الاسلامي الثقافي . فالجمهوريات منحتم كيانا سياسيا - اقتصاديا متميزاً وشعوراً بالتميز الثقافي ، بدليل أن عملية الاحياء الاسلامي ، أقوى بين مسلمي الجمهوريات الست ، عنها بين المسلمين الذين لا يعيشون في جمهوريات كالتاتار والباشكير .

كذلك فان المجالس الاسلامية الاربعة التي تنتظم المسلمين السوفييت اسهمت ، إلى حد كبير ، في عملية الاحياء الاسلامي ، فالمجلس الاسلامي لآسيا الوسطى وكازاخستان ، الذي يرأسه المفتي بابا خانوف ، هو الذي يصدر مجلة « المسلمين في الاتحاد السوفييتي » التي تصدر بالاوزبكية والعربية . كما انه اصدر ١٩٦٩ ، ١٩٧٢ طبعتين من القرآن ، فضلا عن أن هذا المجلس ، اسهم في حفظ التراث الاسلامي ، فمكتبته تحتوي على ٢٥ الف مجلد ، والف مخطوط من اشهرها مصحف عثمان^(٣٦) .

رابعا : ظهور نخبة اسلامية مثقفة متميزة :

انتج النظام السوفييتي نخبة جديدة من الانتلجنسيا الاسلامية ، نشأت بفضل تزايد اعداد المسلمين خريجي الجامعات والمعاهد العليا ، بمعدل يزيد على نظرائهم من السلافيين . هذه النخبة المثقفة ، تنتمي اجتماعيا إلى فلاحى آسيا الوسطى ، الذين ما زالوا بحكم تكوينهم ، يتمسكون بالتقاليد الاسلامية ، كما أنها تجد نفسها في موقف تنافس حاد مع القوميات الوافدة ، كالروس والاوكرانيين ، بحكم ضالة نفوذها السياسي الحقيقي في اتخاذ القرارات المحلية^(٣٧) . ورد الفعل الطبيعي لتلك النخبة ، هو العودة إلى التراث القديم ليس فقط لحمايته في مواجهة الثقافة الروسية ، ولكن لبناء علاقات أقوى مع القوميات المحلية ، يمكن أن تعتبر اساسا لقوتها السياسية^(٣٨) .

خامسا : المجتمع الاسلامي قبيل مرحلة التعبئة الاجتماعية :

لم يصل المجتمع الاسلامي السوفييتي بعد إلى مرحلة التعبئة الاجتماعية ، ومن شأن هذه المرحلة - التي تعد ادق مرحلة من مراحل التحديث - تغيير الاغاط الفكرية والثقافية للمجتمع ، بحكم انتقال المجتمع إلى وضع حضري ، وتعرضه المستمر لوسائل الاعلام . وبعبارة اخرى ، فالمجتمع الاسلامي السوفييتي ما زال ، رغم التقدم الاقتصادي الهائل الذي حققه ينتمي إلى فئة المجتمعات التقليدية التي بدأت التحول نحو التحديث . فإذا اخذنا التوطن الحضري كمعيار للتعبئة الاجتماعية فاننا اذا استثنينا الروس المتوطنين آسيا الوسطى ، نجد أن نسبة تحضر المسلمين في كازاخستان وطاجيكستان ٢٦٪ ، واوزبكستان ٢٥٪ واذربيجان ٤٠٪ ، والتركمان ٣١٪ ، والقرجيز

١٥٪ والباشكير ٢٧٪ ، وهي نسبة تقل عن معدل التوطن الحضري في جمهورية روسيا الاتحادية (٦٨٪) (٣٩) .

أهمية هذا العامل تكمن في أن المجتمع الاسلامي مهياً ، بحكم طبيعته شبه الزراعية التقليدية الغالبة ، لتقبل وحماية التراث الديني الاسلامي ، وانه لم يبلغ بعد مرحلة عالية من التعبئة الاجتماعية ، التي تؤدي بالمجتمع إلى تحطيم الاطار الفكري التقليدي ، واحلال اطرار فكرية وثقافية اخرى محلها ، كما أنه في ظل المؤشرات الاقتصادية الحالية ، فإنه ليس من المتوقع أن يبلغ المجتمع الاسلامي السوفييتي تلك المرحلة في المستقبل القريب (٤٠) .

مستقبل حركة الاحياء الاسلامي في الاتحاد السوفييتي :

اذا حاولنا القاء نظرة مستقبلية على حركة الاحياء الاسلامي في الاتحاد السوفييتي ، فانه يمكننا أن نتين عدة متغيرات اساسية من شأنها أن تحدد مستقبل الحركة وتطورها . أول هذه المتغيرات ، هو المتغير السكاني . فالمسلمون السوفييت ، يتزايدون بمعدلات تفوق بكثير معدل تزايد باقي الشعوب السلافية في الاتحاد السوفييتي وتشير احصاءات ١٩٧٠ إلى ان الزيادة الطبيعية للسكان في الاتحاد السوفييتي تبلغ ٩,٢ في الالف ، وفي جمهورية روسيا ٥,٩ في الالف ، ولكنها بالنسبة لاوزبكستان تبلغ ٢٨ في الالف ، ولكازاخستان ١٧,٣ في الالف ، واذربيجان ٢٢,٥ في الالف ، وقيرجيزيا ٢٣,١ في الالف . أي أن المسلمين الروس يتزايدون بمعدل أربعة اضعاف المعدل الروسي . ويتنبأ بيسمير ، أنه اذا استمرت تلك المعدلات حتى عام ٢٠٠٠ ، فإن المسلمين السوفييت ، سيبلغون في تلك السنة ٦٥ مليون نسمة ، يشكلون ٢١,٣٪ من سكان الاتحاد السوفييتي (٤١) . كما تشير الاحصاءات ، إلى أن ٥٢٪ - ٥٦٪ من المسلمين السوفييت ، يبلغون أقل من ٢٠ سنة ، بينما تبلغ النسبة ٢٩٪ - ٣٨٪ لباقي الجمهوريات (٤٢) . ومعنى هذا الاتجاه انه قرب أواخر القرن العشرين ، سيشكل المسلمون حوالي خمس سكان الاتحاد السوفييتي ، وان النخب الاسلامية الجديدة ، سيتزايد وزنها تدريجياً في مراكز اتخاذ القرارات . وفي البيروقراطية والجيش ، وبمعدل اسرع من معدل القوميات الاخرى ، مثل هذا الاتجاه ، من شأنه أن يزيد من امكانيات تأكيد الذات القومية الثقافية لدى المسلمين السوفييت ، ويعطل من فرص الترويس السكاني والثقافي ، ويعطي النخب الاسلامية ، بقيمها الثقافية الاسلامية ، فرصا اوسع لاحياء القيم الاسلامية . والمتغير الثاني الذي سيحدد مستقبل حركة اليقظة الاسلامية ، هو طبيعة العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والعالم العربي والاسلامي ، فتوطد هذه العلاقات ، من شأنه أن يزيد من فرص تقبل

السوفييت لمطالب الدول الاسلامية ، بتوسيع نطاق الممارسة الاسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز . كما أن حرص الاتحاد السوفيتي على تطوير علاقاته العربية والاسلامية ، عن طريق تكثيف علاقات الاجهزة الرسمية الاسلامية السوفيتية مع الدول الاسلامية ، من شأنه أن يضع المسلمين السوفييت في مركز الاتصال الثقافي المستمر مع التيارات الاسلامية ومنها تيار الاحياء الاسلامي الذي يحتاج كثيراً من الدول الاسلامية . أما المتغير الثالث فهو مستقبل الصراع الصيني السوفيتي حول النفوذ في آسيا الوسطى . فهذا المتغير ، كما يقول هويلر - ، من شأنه أن يؤثر على قرار القيادة السوفيتية بشأن ابقاء الكيان السياسي للجمهوريات الاسلامية ، وتحسين فرص الممارسة الاسلامية والتسامح الذي تبديه القيادة السوفيتية تجاه تلك الممارسات ، وذلك بالنظر إلى الدعاية الصينية الموجهة إلى سكان آسيا الوسطى لمحاولة اكتساب ولائهم^(٤٢) .

وأخيراً ، فإن تعاظم أو تدهور حركة الاحياء الاسلامي ، وبالذات في ايران ، من شأنه أن يؤثر على الاحياء الاسلامي بين المسلمين السوفييت . وتشير الدلائل الحالية إلى أن المسلمين السوفييت لم يتأثروا ، حتى الآن ، تأثراً ملموساً بالآثار الاقليمية التي أحدثتها الثورة الايرانية . ولكن من المرجح أن يعطي توطد تلك الثورة وانتشار حركة الاحياء الديني في الدول الاسلامية ذاتها دفعة قوية لحركة الاحياء لدى المسلمين السوفييت .

ختام : خصوصية الاحياء الاسلامي بين المسلمين السوفييت :

الواقع أن الاحياء الاسلامي بين المسلمين السوفييت يتميز بخصوصيات محددة تميزه عن الاحياء الاسلامي في الدول الاسلامية . فهو من ناحية يتحصل في عملية تأكيد الذات التي تقوم بها اقلية لمحاولة الاحتفاظ بهويتها ازاء طغيان ثقافة الاغلبية . تأكيد الذات يتم ، في هذه الحالة ، عن طريق اعادة اكتشاف القيم الثقافية الاسلامية . من ناحية اخرى ، فالاحياء الاسلامي بين المسلمين السوفييت لا تنتظمه حركة سياسية منظمة ، كما هو الحال بالنسبة لجماعات الاخوان المسلمين ، كما أنه لم يسفر عن تطوير ايديولوجية خاصة أو برنامج للعمل يحدد الاهداف والوسائل ، كما هو الحال بالنسبة للثورة الايرانية ، فالمسلمون السوفييت يقبلون النظام السوفيتي وقيمه الاساسية ولا توجد بينهم حركات سياسية انشاقية ، كما هو الحال بالنسبة لبعض اتباع الكنيسة الارثوذكسية الروسية او الكنيسة الاوكرانية ، كما أنهم ليسوا في طريقهم لاقامة جمهورية اسلامية مستقلة في آسيا الوسطى^(٤٣) . بيد أن المسلمين السوفييت بدأوا فعلاً ، وقبل أن يبدأ تيار الاحياء الاسلامي في الدول الاسلامية الاخرى ، في تكوين شخصية ثقافية اسلامية

متميزة . ومن شأن هذا التيار أن يتعاضد أثره ، لأنه لا يرتبط بقضايا طارئة قد تتلاشى سريعا (كفضية ممارسة الشعائر) ، ولكن بتيارات سكانية واقتصادية وثقافية عميقة ، وهو بذلك تيار أكثر هدوءاً ولكنه أشد قوة من التيارات الموجودة في بلاد اسلامية اخرى .

الحواشي

(١) John Vall, «The Islamic past and present resurgence.» **Current History**, (1978), April 1980: 145- 148.

(٢) R. Dekmejian, «The anatomy of Islamic revival: legitimacy, crisis, ethnic conflict and the search for Islamic alternatives.» **The Middle East Journal**, (34), Winter 1978: 2.

(٣) C. Grunwald, **God and the Soviets**, London, Hutchinson, 1961: 197.

(٤) **The Ottawa Journal** (Canada), 1 December 1972.

(٥) T. Rakowska- Harmstone, «The dilemma of nationalism in the Soviet Union,» in John Strong, ed., **The Soviet Union Under Brezhnev and Kosygin**, New York, Van Nostrad, 1972: 130.

(٦) Lana Hill, «Islam's winds blowing toward Soviet Asia,» **The Ottawa Citizen**, 18 April 1979.

(٧) يقصد بالمسلمين السوفييت ، كل المجموعات العرقية التي كانت تنتمي قبل ثورة سنة ١٩١٧ الروسية الى الثقافة الاسلامية ، او التي ما زالت حتى اليوم تحتفظ بطريقة او بأخرى بالاسلوب الاسلامي في الحياة . بعبارة اخرى ، نحن لا نقصد تجمعا دينيا معينا (لأن الاحصاءات السوفيتية ليست فيها فئة خاصة عن المسلمين) ، ولكن تجمعا ثقافيا قوميا يتركز في آسيا الوسطى والقوقاز .
(٨) توجد ايضا مجموعة عربية تقدر بحوالي ثلاثة عشرة ألف نسمة ، تتكلم خليطا من العربية واللغات المحلية .

(٩٢) «The Arabs and Jews in Central Asia,» **Central Asian Review**, 1964; 271- 272.

(٩) Adapted from, A. Bennigsen and C. Lemerrier- Quelquejoy, **Islam in the Soviet Union**, N.Y., Praeger, 1967. Richard Weekes, ed. **Muslim Peoples**, London, Greenwood, 1978.

(١٠) Richard Pipes, **The Formation of the Soviet Union**, Cambridge, Harvard University Press, 1964: 88.

(١١) O. Caroe, **The Soviet Empire, The Turks of Central Asia and Stalinism**, London, MacMillan, 1957: 102.

(١٢) اصدرت الحكومة البلشفية بيانا في ٢٤ نوفمبر لسنة ١٩١٧ موها الى الشعوب الاسلامية تؤكد فيه حرية المؤسسات الاسلامية ، كما اكد لينين وستالين على ضرورة معاملة المسلمين بتسامح وحذر بالغين .

- V. Lenin, *Collected Works*, Vol. 30, Moscow, 1965: 444.
- J. Stalin, *Works*, Vol.4, Moscow, 1953: 375.
- V. Monteil, *Les Musulmans Soviétiques*, Paris, Seuil, 1957: 30- 33.
- A. Park, *Bolshevism in Turkestan (1917- 1927)*, New York, Columbia University (١٣) Press, 1957: 207- 208.
- A. Bennigsen et C. Lemerrier- Quelquejoy, *Les Mouvements Nationaux chez les (١٤) Musulmans de Russie: Le Sultangalievisme et Tatarstan*, Paris, Mouton, 1960: 176- 203.
- A. Bennigsen, «Islam or Local consciousness among Soviet nationalities?», in E. (١٥) Allowrth, ed. *Soviet Nationality Problems*, New York, Columbia University Press, 1967: 178- 179.
- S. Dunn and E. Dunn, «Soviet regime and native culture in Central Asia and Kazakhstan: the major peoples», *Current Anthropology*, (8), June 1967: 158.
- E. Bacon, *Central Asia under Russian Rule (A Study in Cultural Change)*, New York, Cornell University Press, 1966, 1974.
- G. Wheeler, *Racial Problems in Soviet Muslim Asia*, London, Oxford University Press, 1962: 28.
- ونود أن نشير في هذا الصدد الى ان تلك السياسات كانت جزءا من محاولة النظام السوفيتي ، تحطيم الطابع التقليدي للمجتمع الاسلامي ، وانه على حد قول هويلر ، الخير البريطاني في الشئون السوفيتية ، فإن التقارير الغربية عن اضطهاد المسلمين في هذه الفترة مبالغ فيها . فلم يحظر ابدا ممارسة الشعائر ، كما فصل السوفييت بين خطهم الايديولوجي تجاه الاسلامي (الذي ارسى دعائمه كليموفيتش) وبين حق المسلمين في ممارسة شئونهم الدينية الخاصة (فأنشيء مجلس اسلامي ديني مركزي في يوتا برئاسة المفتي رسولوف .
- G. Wheeler, *The Peoples of Soviet Central Asia*, London, Bodley Head, 1966: 97.
- H. Seton- Watson, «Soviet nationality policy», *The Russian REVIEW*, (15) Jan. 1956: 10- 11.
- B. Wilhelm, «Moslems in the Soviet Union, 1948- 1954», in R. Marshal, ed. *Aspects (١٦) of Religion in the Soviet Union (1917- 1967)*, University of Chicago Press, 1967: 263- 265.
- في مقابل ذلك عوملت المجتمعات الاسلامية التي تعاونت مع الالمان بمنتهى الشدة التي وصلت الى حد ترحيلهم نهائيا من مناطق اقامتهم ، ومنهم تاتار القرم والبلقان
- M. Frankland, «Could Russian Moslems start a holy war?», *The Observer Foreign (١٧) News Service* (London), 31 March 1979.
- S. Begmedov, «Particular manifestations of religious survivals among the urban (١٨) population», *Religion in the Communist Lands*, II (July- Oct. 1974): 45.
- R. Pipes, «Muslims of Soviet Central Asia: Trends and Prospects», *Middle East (١٩) Journal*, (9), 1955: 147- 162.

- (٢٠) محمد جميل بيهم ، أسرار ما وراء الستار ، الاتحاد السوفييتي والصين الشيوعية كأنك تراهما ، بيروت - المطبعة التجارية - ١٩٥٧ ص ٩٩ - ١٠٢ ، ص ١٤٤ ، ١٦٧ - ١٦٨ .
- G. Wheeler, «National and religious consciousness in Soviet Islam.» *Survey*, Jan. (٢١) 1968: 61.
- G. Wheeler, «USSR learning to live with Islam.» *Forum World Features* (London), (٢٢) 30 March 1968.
- (٢٣) مقابلة صحفية مع موسى الصدر ، الحوادث (بيروت) ٥ يناير سنة ١٩٧٣ - (العدد ٨٤٥) ص ٢٢ .
- A. Bennigsen, «Islam in the Soviet Union» in B. Bocuirkiw and J. Strong, eds., (٢٤) **Religion and Atheism in the USSR and Eastern Europe**. Toronto, University of Toronto Press, 1975: 96.
- (٢٥) Archie Brown and M. Kaser, eds. **The Soviet Union since the Fall of Khrushchev**, London, MacMillan, 1978: 172 (٢٦). فهمي هويدي « عالم المسلمين السوفيت » العربي (الكويت) ، يناير سنة ١٩٨٠ ، ص ٨٢ .
- J. Gritchlow, «Signs of emerging nationalism in the Moslem Soviet Republics.» In (٢٧) Norton Dodge, ed. **The Soviets in Asia**. Mechanicsville. Cremona Foundation, 1972: 27.
- في مقابل ذلك وجد ستيفن واثيل دن في منتصف الخمسينات ١٦٢ حالة تركمانيات تزوجن من غير تركمانيين (مقابل ٨٧٨ حالة لتركمان تزوجوا غير تركمانيات) .
- Ethel and S. Dunn, «Ethnic intermarriage as an indicator of cultural convergence in Soviet Central Asia.» in E. Allworth, ed., **Central Asia**. New York, Columbia University Press, 1967.
- J. Besemeres, «Population politics in the USSR» **The Soviet Union, USA**, (1) 1975: 72.
- «Mixed marriages in Central Asia and Kazakhstan.» **Central Asian Review**, (2). 1963:8, 11.
- Lawrence Krader, **Peoples of Central Asia**. Indiana University Publications, 1971: (٢٨) 217.
- (٢٩) سنرى حالا أن سبب ارتفاع المعدل الكازاخستاني ، هو أن معظم سكان كازاخستان ليسوا مسلمين .
- Bennigsen and Lemerrier- Quelquejoy, **Islam in the Soviet Union**, op.cit.: 232.
- (٣٠) فهمي هويدي - المرجع السابق - ص ٩٠ .
- Current Digest of the Soviet Press**, XXV, 42: 20- 24.
- (٣١) فهمي هويدي - المرجع السابق - ص ١٠٢ - ١٠٣ .
- Gritchlow, **op. cit.**: 21- 24. (٣٢)
- R. Pipes, «Reflections on the nationality problems in the Soviet Union.» in Nathan (٣٣) Glazer and P. Moynihan, eds., **Ethnicity**. Cambridge, Harvard University Press, 1975: 453- 465.
- ١٢٧

USSR, 73, Moscow, Novosti Press Agency Yearbook, 1973: 108- 122, **Pravda**, 4 (٣٤) Feb. 1960.

A. Bennigsen, «The problems of bilingualism and assimilation in the North (٣٥) Caucasus,» **Central Asian Review**, (15), 1962: 210.

ونضيف ان المسلمين السوفييت ، يعتبرون بذلك اقل القوميات السوفيتية تروسا من الناحية اللغوية ، فطبقا لاحصاء سنة ١٩٥٩ ، تبين ان ٣,٦٪ من سكان الحضر المسلمين ، متروسون لغويا ، بينما تبلغ النسبة لسكان الحضر غير المسلمين ١٢,٦٪ ، وتبلغ لسكان الريف المسلمين ٠,٣٪ مقارنة بنسبة ٢,٣٪ لسكان الريف غير المسلمين .

Brian Silver, «Social mobilization and the Russification of Soviet nationalities,» **American Political Science Review**, 1974: 59.

(٣٦) يوجد بالاتحاد السوفيتي ، اربعة مجالس اسلامية تنظم شئون المسلمين السوفييت ، بالتنسيق مع المجلس الاتحادي للشئون الدينية التابع لمجلس الوزراء السوفيتي وهذه المجالس هي : المجلس الاسلامي الديني لآسيا الوسطى وكازاخستان ومقره طشقند ويرأسه المفتي بابا خانوف ، المجلس الاسلامي الديني للجزء الأوروبي من الاتحاد السوفيتي وسيربيا ومقره يوبا عاصمة جمهورية الباشكير المستقلة ويرأسه المفتي شاكرا حيلدينوف ، المجلس الديني الاسلامي لشمال القوقاز وداغستان ومقره بوناكسله ، ويرأسه المفتي قربانوف واخيرا المجلس الديني الاسلامي للقوقاز ويرأسه شيخ الاسلام علي آغا ومقره باكو .

A. Vakhobov, **Islam in the USSR**, Moscow, Novosti, 1972: 47- 55.

(٣٧) في دراسة للباحث المنشق من آسيا الوسطى أفتور خانوف ، اوضح انه في سنة ١٩٦٣/١٩٦٤ كان ٤٣٪ من اعضاء اللجنة المركزية ولجان المراجعة في كازاخستان من ابناء الجمهورية المحليين ، مقابل ٥٥٪ في قرجيزيا و ٧٠٪ في اوزبكستان و ٧٣,٧٪ في طاجيكستان . وانه قد تم طرد الكثير من السكرتيرين الأوائل للحزب في جمهوريات آسيا الوسطى ، لانتهاجهم سياسات ثقافية تحذ الثقافة الاسلامية ، ويذكر أفتور خانوف اسماء العديد منهم .

A. Avtorkhanov, «De-nationalization of the Soviet ethnic minorities,» **Studies in the Soviet Union**, Munich, (4), 1964: 80- 82.

T. Rakowska- Harmstone, «The dialectics of nationalism in the USSR,» **Problems of Communism**, May-June 1974: 10.

(٣٩) لا شك ان المسلمين السوفييت ، قد حققوا تقدما اقتصاديا هائلا في ظل الحكم السوفيتي ، يتمثل في !طفرة الهائلة في الناتج القومي ، والتي تصل إلى ستة أضعاف ما حققته روسيا ذاتها منذ الثورة ، كما أن الجمهوريات الاسلامية تحصل على نصيب من الاستثمارات طويلة الأجل وقصيرته . تقرب من قوتها السكانية . لكن الملاحظ ان الفوارق الاقتصادية بين الجمهوريات الاسلامية والجمهوريات الأوروبية السوفيتية ما زالت قائمة . فالنظر الى معامل التنمية (الذي حسبه الباحث السوفيتي فيرميشيف) يوضح ان الجمهوريات الاسلامية ، ما زالت في مؤخرة سلم التقدم الاقتصادي ، اذ يتراوح ما بين ٠,٦٠ ، ٠,٨٨ ، بالنسبة للجمهوريات الاسلامية بينما يبلغ ١,٠٢ لروسيا ١,١٤ لاستونيا (معامل التنمية هو نصيب الجمهورية من الناتج القومي مقسوما على نصيبها من السكان) .

Problems of Economics, Jan 1971: 58- 68.

Anne Sheehy, «Some aspects of regional development in Soviet Central Asia,»

Slavic Review, Sep. 1972: 557- 558.

V. Halubnychy, «Some economic aspects of relations among the Soviet Republics,»

in E. Goldhagen, ed., **Ethnic Minorities in the Soviet Union**, New York, Praeger, 1968: 50- 120.

Besemer, op.cit.: 69.

(٤٠)

Rein Taagepera, «National differences within Soviet demographic trends,» **Soviet** (٤١)

Studies, Glasgow, April 1969: 478- 483.

G. Wheeler, «Soviet and Chinese policies in the Middle East,» **World Today**, (22), (٤٢)

Feb. 1966 : 67 - 76 .

Sheik Ali, «Muslim minority in the Soviet Union. **Current History**, (78). April 1980: (٤٣) 177.



ISLAMIC REVIVAL: THE CASE OF THE SOVIET MOSLEMS

M. Salim

Since the late 1960s and early 1970s, the Islamic world has been undergoing a process of religious resurgence. The process is noted for its pervasiveness. It has been occurring virtually in every Islamic society or community including Islamic minorities such as the Islamic minority in the Soviet Union.

The revival of Islam among Soviet Moslems evolves around the quest for an Islamic identity based upon the cultural values of Islam. It is particularly manifested in three basic forms:

(i) traditional revivalism as exhibited in the noticeable increase in the practice of Islamic rituals and religious education,

(ii) Islamic cultural revivalism as manifested in the evolution of a culturally distinct Islamic way of life. Even though the majority of Soviet Moslem do not observe the rituals, the civil life of Soviet Moslems increasingly revolves around the cultural values of Islam. The persistence of the traditions of marriage, divorce, birth and Islamic cultural historiography are just by few examples; and (iii) the resurgence of the Islamic identity as exhibited in the trend toward the de-Russification of Islamic communities. For instance, there is a noticeable decline of the percentage of Soviet Moslems who consider Russian as their native tongue .

The revival of Islam among Soviet Moslems may be attributed to several factors which distinguish Islamic revival in Islamic societies from Islamic revival among Islamic minorities. Foremost among these factors is the emergence of an Islamic elite which finds that the revival of Islamic ethos and the integration of the Islamic peoples of Central Asia along the lines of Islamic values, provide it with an advantageous power base. Further, the Islamic society in the Soviet Union, as a pre-social mobilization society, is still receptive to the traditional values of Islam.

The demographic weight of the Soviet Moslems, future relations between the Soviet Union and Islamic countries, and the Sino-Soviet rivalry for influence among the peoples of Central Asia will determine to a great extent the prospects of the acceleration of Islamic revival among Soviet Moslems. However, it must be stressed that such revival is not likely to develop any political dimensions because the emerging Soviet Islamic elite accepts the basic tenets of the Soviet regime.